الأوضاع الاجتماعية للمرأة اليهودية المغربية إلى غاية نهاية القرن 19م

The social status of Jewish woman of Morocco until the end of the 19th century

د. عمر لمغيبشي- الأكاديمية الجهوية للتربية والتكوين طنجة-تطوان-الحسيمة(المغرب).

ملخص: إن المتتبع لتاريخ المغرب يتأكد يوما بعد يوم من أهمية دراسة تاريخ يهوده الذين شكلوا جزءا لا يتجزأ من تاريخه العام. ولاشك أن التطرق للمرأة اليهودية التي لعبت دورا بارزا في تنوير المجتمع اليهودي، خاصة مع نهاية القرن 19م سيتيح -لا محالة- للباحثين والمهتمين بتاريخ الأقليات الدينية استجلاء العديد من العناصر المكونة للمجتمع المغربي، خاصة إذا ما علمنا أن المرأة اليهودية شكلت لوحدها "مجتمعا داخل المجتمع"، اعتبارا لدورها البارز كعنصر محدد للتشكيلات الاجتماعية والثقافية والاقتصادية للطوائف اليهودية بالمغرب.

لذلك يسعى هذا الموضوع إلى سد الفراغ الحاصل في هذا المجال، ومحاولة تسليط الضوء، ولو بشكل عام، على أوضاع المرأة اليهودية المغربية الدينية منها، والاجتماعية، والسياسية، والتي ظلت محجوبة عن الدراسات العربية. كما يحاول تسليط الضوء على التحولات التي عرفتها المرأة العبرية مع نهاية القرن 19م، خاصة في الجانب الثقافي والفكري.

الكلمات المفتاحية: المرأة اليهودية-الملاح-الطوائف-التشريع التوراتي-السفرديم-الطوشبيم-الميكوراشيم-الطبقة الاجتماعية- الواقع التعليمي.

Abstract: The purpose of this work is to evaluate the issue of the Moroccan Jewish woman from a historical perspective. Such an effort requires a study of certain fundamental areas of Jewish thoughts. The present work, therefore, begins with the cultural and social roles of Jewish woman who has repeatedly constructed her own female-oriented traditions, developing ways to enrich life of her community religiously and culturally despite of her historical exclusion from the communal spheres of religious rituals and Jewish learning.

This is followed by a brief analysis of the position of woman in Jewish law (marriage and family). And then the beginning of her modernization when she became a teacher.

Commons concerns among this work include recognition of the importance of the Moroccan Jewish woman who formed an integral part of its general history, and played a prominent role in the enlightenment of the Jewish community, especially in the end of the 19th century.

Keywords: The Jewish woman- Communities- Mellah-Sephardim.

مقدمة:

لابد من الإشارة في البداية إلى ملاحظة مهمة تتمثل في كون الحديث عن موضوع المرأة اليهودية المغربية ظل غائبا عن الدراسات التاريخية (Renée Melammed, 1999, p128)، سواء العربية منها أو الأجنبية، في مقابل هيمنة الكتابات اليهودية، بالإضافة إلى الطابع السري للداخل اليهودي المقدس بالنسبة لليهود، والذي يبقى حكرا على مالك الدار وأهله (Léon Poliakov, 1978, p150).

والحقيقة أن العديد من العوامل تحكمت في صقل شخصية المرأة اليهودية المغربية، وتتعدد هذه العوامل لكنها تظل مهمة للإحاطة بأوضاعها، وبأوضاع أخواتها في الملة بباقي الطوائف المغربية، فلمعرفة هذه الأخيرة لا بد من تقديمها داخل العالم الجغرافي الذي كانت تتحرك فيه من جهة، وضمن الأبعاد التاريخية من جهة أخرى، لأنها وريثة ماض ثقافي وتاريخي متنوع وغير مستقر(David Rouach, 1990, p6).

واعتبارا لكون المرأة اليهودية بشمال إفريقيا كانت تنتمي إلى فضاء عربي ممتد من الأطلسي إلى بحر عمان، مقسم إلى المغرب والمشرق، فقد جرت العادة أن تتم دراستها انطلاقا من اللغة والثقافة والدين، وهذه العوامل الثلاثة مجتمعة تمدنا بالعديد من الإجابات عن الإشكالات المتعلقة بوضعها ضمن أقلية دينية تعايشت إلى جانب العرب والأمازيغ، وتأثرت بعاداتهم في كل شيء، كما أن المرأة اليهودية سواء المنتمية إلى اليهود البلديين "الطوشبيم" (والمقصود هنا السكان اليهود الأصليون) أو اليهود الروميين "الميكوراشيم" (وهم الذين حلوا بالمغرب، خاصة يهود إسبانيا والأندلس)، تقاسمت مع مختلف الشرائح اليهودية تراثها ولعبت دورا محوريا في قلب الموازين والمقاليد، رغم ما عانته من ظلم وجور بسبب بطش الرجل اليهودي (A. Cerfberr De Medelsheim, 1847, p49-52)، وبالتالي فإننا نجد أنفسنا أمام واقع معقد تتفاعل فيه العديد من العوامل عملت كلها على خلق وتكوين وصقل شخصية المرأة اليهودية المغربية.

ولاشك أن التطرق للمرأة اليهودية التي لعبت دورا بارزا في تنوير المجتمع اليهودي، خاصة في نهاية القرن 19م (Iris Parush, 2004, preface) سيتيح للباحثين والمهتمين بتاريخ الأقليات الدينية استجلاء العديد من العناصر المشكلة للمجتمع المغربي، اعتبار لدورها البارز كعنصر محدد للتشكيلات الاجتماعية والثقافية والاقتصادية لمختلف الطوائف اليهودية بالمغرب.

1. دور المرأة اليهودية المغربية

لعبت المرأة اليهودية المغربية دورا هاما في الحفاظ على الهوية والثقافة والدين اليهودي، رغم حيف النصوص الدينية وسلطة المجتمع اليهودي، حيث أنيط بها دور المربية داخل البيت بالسهر على تعويض دور الرجل (Moshe Meiselman,1978,p16). وقامت بعدة أدوار تربوية إلى جانب عملها اليومي داخل البيت (Karla Goldman, 2009, p 18-19).

ولعل أهم دور لعبته المرأة اليهودية المغربية قبل نهاية القرن 19م هو مساهمتها المباشرة في التنشئة الاجتماعية، من خلال تلقين أولادها أصول ومعتقدات اليهود وتطبيقاتها، حيث كان

لزاما عليها تعليم أولادها معرفة الإله والتقرب إليه والخوف منه وعبادته، كما كان لزاما عليها تقريب مفاهيم تتعلق بالإله ودوره في الحياة (Judit Borrás Targarona,1998, p493)، مساهمة بذلك في نقل الثقافة اليهودية، من خلال صقل شخصية أبنائها وأحفادها (Moshe Meiselman, 1978, p17). وقد أشارت "إستير كوهين" إلى أن الأم اليهودية لعبت على مر الزمان دورا مهما في نقل الثقافة لأولادها، خاصة بعد أن تعرض أبناء ملتها للطرد من اسبانيا والبرتغال، حيث وجدت نفسها مضطرة إلى تكريس مبدأ المحافظة على المكتسبات الاجتماعية لليهود "السفرديم"، والأخذ بالماضي "السفردي"، مخافة طمس الهوية اليهودية (Judit Borrás Targarona,1998, p493).

ولم يكن وضع المرأة العبرية داخل الملاح معروفا في الكتابات الأوروبية إلا عند دخول الإسبان، الذين وقفوا بشكل جلي على وضع اليهوديات. وفي هذا السياق تأتي شهادة "ألاركون" المختلطة بنظرة الإعجاب لجمال المرأة العبرية ووضعها البائس داخل محيطها (Pedro A. de Alarcón, 1859, p206).

2. الأوضاع الاجتماعية للمرأة اليهودية المغربية

عاشت المرأة اليهودية المغربية إلى غاية نهاية القرن 19م في مجتمع ذكوري متشدد، وقد اعتمدت الكتابات اليهودية الدينية منها والاجتماعية والتاريخية في دراسة وتقديم صورة المرأة اليهودية في حياتها الأسرية والاجتماعية على المتن الديني الذي يبني عليه الفقه الربي فتاويه ومبادئه التربوية المقيدة لكل يهودي، والتي ستعتمد على مر تاريخ اليهود منذ القدم إلى اليوم كقواعد ثابتة تحدد الهوية اليهودية القائمة أساسا على الأم اليهودية، حيث العصبة كانت بالأم وليس بالأب (رشيدة فؤاد، 2013، ص11)، وفي واقع الأمر، فقد نظرت الشريعة اليهودية إلى المرأة نظرة احتقار وتصغير. وفي هذا الصدد، يقول الحبر اليهودي بابا بترة: "ما أسعد من رزقه الله ذكوراً، وما أسوأ حظ من لم يرزق بغير الإناث" (رشيدة فؤاد، 2013، ص 11).

وتعكس أسفار العهد القديم أنواعا متعددة من الزيجات، تنسجم والسياق التاريخي والاجتماعي العام لمختلف مراحل تطور الحياة اليهودية، ونجد فيها صورا غريبة وفاضحة للمرأة، فالمرأة حسب كتبة التوراة هي السبب الأول وراء خطيئة آدم وإخراجه من الجنة إلى الأرض حيث ينتظره الشقاء، فهي خليفة الحية الملعونة، وآدم خاضع لها كما في سفر التكوين(الإصحاح 3، الفقرات 1-13)(رشيدة فؤاد، 2013، ص12)، ولذلك يعتبر المشرع اليهودي المرأة المتزوجة كالقاصر والصبي والمجنون، بحيث لا يجوز لها البيع والشراء، مما أدى إلى حرمانها من العمل في التجارة بشكل مباشر.

وهذا الخطاب الديني المضطرب شمل عدة مواضيع: الزواج والأمومة والطلاق والترمل والفاحشة (رشيدة فؤاد، 2013، ص12)، وساهمت كل هذه الظروف في تعميق الهوة بينها وبين الرجل، الأمر الذي أدى إلى غيابها الشبه التام في المصادر التاريخية العربية، بل وحتى الأجنبية منها، إذ لم نجد ما يفيد موضوع المرأة اليهودية المغربية غير إشاراتٍ طفيفة لا يمكن أن تسهم في تكوين صورةٍ واضحة عنها، ولذلك اضطررنا لبيان صورتها في الشريعة اليهودية التي استمدَّ منها يهود المغرب نظرتهم، وكثيراً من تصوراتهم.

أ ـ المرأة اليهودية المنحدرة من الشريحة الاجتماعية المتدنية

عاشت المرأة اليهودية المغربية المنحدرة من الشريحة الاجتماعية المتدنية وضعا اجتماعيا مترديا وبائسا، اتسم بالكثير من الدونية والازدراء والنظرة المنتقصة من شأنها كمخلوق غير معتد بوجوده، فهي عرضة بصفة دائمة لاحتقار الرجل اليهودي، الذي يستند في تبرير سلوكه المجحف اتجاهها إلى تعاليم التوراة وأحكام التلمود المترسخة في الشريعة اليهودية (أتينجر صموئيل، 1995، ص 65-71)، وهي دائما تعاني من زواج غير متكافئ، حتى أن الفتاة ذات الستة عشر ربيعا، كانت ترغم على الزواج بابن الأربعين ضدا على إرادتها، ونزولا عند رغبة أهلها المتحكمين بصورة مطلقة في شؤون حياتها. وكانت تعاني من غياب زوجها الذي يضطر إلى مغادرة الملاح صوب أماكن وبلدان أخرى، دون أن يستشيرها في ذلك، أو يأخذ رأيها، أو بالأحرى يرتب لها أمورها المادية على النحو الذي يكفل لها وضعية مادية مستقرة، حتى يحين موعد أوبته، فكان يقدم على السفر ضاربا عرض الحائط بكل التزاماته العائلية (Cecil Roth, 1953, p219).

ولم يكن يحق للمرأة العبرية أن تدلي برأيها في مسألة اختيار شريك حياتها، ولا المطالبة بحق الحصول على الطلاق والانفصال عن زوجها عند تضررها البين من تصرفاته، أو معاناتها المستديمة من هجره لها، أو انقطاعه عن الوفاء بواجباته الأسرية إزاءها، ولا مخالفة قرار زوجها إذا ما كانت عاقرا، فتتقبل على مضض، ورغم أنفها، الزوجة الثانية التي يطلق عليها في العبرية "عتصياه" بمعنى الحزن أو الأسى أو الكرب (عبد الوهاب المسيري، 1999، ص 99).

كما كانت المرأة تهان بإرغامها على الزواج بأخي زوجها إن توفي عنها وتركها بدون إنجاب، حيث تضطر في هذه الحالة إلى الزواج منه رغما عنها، وإذا رفض أخو زوجها الزواج منها أصبح اسمه "مخلوع النعل"(عبد الوهاب المسيري، 1999، ص 146)، ولم تقف معاملات أفراد الطائفة لها عند هذا الحد، بل كانت ممنوعة من دخول البيع والصلاة فيها، وذلك وفقا للعرف اليهودي الذي ينص على أن تشارك المرأة في العبادة دون السماح لها بدخول البيعة، خوفا من أن تدخله خلال فترة الطمث (Schifra Strisowei, 1962, p40)، وبالتالي كانت محرومة من زيارة أماكن العبادة والجلوس فيها، باستثناء "يوم كيبور"، وهو اليوم الوحيد الذي منح لها، كما حرمتها الشريعة نهائياً من حقها في الميراث، فحكم عليها بالانصياع لأحكام التوراة والتلمود، والامتثال لسلطة الرجل بسبب هيمنة الفكر الذكوري، ولم يكن يجوز لها أن تحتج على شيء من هذه الأعمال، أو ترفض القيام بها بشكل أو بآخر، وإنما كان يتوجب عليها الانصياع والرضوخ بشكل كلي لمتطلبات البيت ورغبات زوجها، لأن التزامات الخلق والسلوك والنظافة والعناية بالأسرة والبيت والدين وأعياده، ومحافظتها على العرف العام شكلت محور آليات السلوك الاجتماعي النسوي اليهودي بالمغرب.

وبسبب هذه الظروف، ظلت مهمة المرأة اليهودية المغربية مقتصرة على الإنجاب، وتأدية مهام البيت، وتربية الأطفال. فكانت تتكلف داخل بيتها بتأدية العديد من الأشغال والأعمال الكثيرة التي تكاد تملأ وقتها من الصباح حتى المساء، ابتداء برعاية أمور الزوج والأبناء

والقيام بسقاية الماء، وإعداد الطعام (Paul Sebag, 1991, p26)، إذ كانت تعود إليها مهمة تحمل أعباء المأكولات الحلال"الكشروت"، والعمل على احترام الشرائع والتقاليد المتعلقة بالحفاظ على المظهر الحقيقي للبيت اليهودي.

وهي كذلك التي كانت تتحمل وحدها دون غيرها تطبيق أكبر عدد من التعاليم والمبادئ المتعلقة بالسبت، كإشعال الشموع، وترتيب أمور الأعياد الكبيرة، خصوصا عيد الفصح. ولم يكن يمنع على المرأة المنحدرة من الطبقة الفقيرة أن تمارس مهنة ما، فقد كانت المرأة الخياطة محاطة بالعديد من الفتيات الخياطات أو "الطرازات"، كما كانت تشتغل لفائدة الزبناء، سواء من اليهود أو المسلمين، وتدعى إلى جانب المغنيات إلى أعياد العائلة، ومع "النادبات" و"النائحات" للسهر على المأتم، ولعبت كذلك دور "الخاطبة" و"القابلة"، وهما حرفتان تميزا بنوع من التشريف والتقدير من قبل اليهود. ونتيجة لذلك، حازت صفة "المرأة المدبرة" (إيشت حايل) في الأدبيات اليهودية التقليدية(حاييم الزعفراني، 1987، ص 70).

ب- المرأة اليهودية المنتمية إلى الطبقات الارستقراطية والعائلات الثرية

على النقيض مما رأيناه مع المرأة المنتمية للطبقات الفقيرة، عرفت المرأة العبرية الارستقراطية والثرية، خاصة المنحدرة من العائلات "السفردية" بعضا من اليسر والأنفة، والمعاملة الحسنة، واتساع رقعة نشاطها الاجتماعي، فهي أولا وقبل كل شيء سليلة الأسرة اليهودية الأندلسية المهجرة التي ورثت عن البيئة الأوربية تقاليدها المنفتحة وعاداتها المتساهلة على المستوى الأخلاقي والاجتماعي، مما أثر نوعا ما على نمط حياتها، وطبيعة نظرة الرجل إليها. فقد كان عملها داخل البيت محدودا جدا، إذ لم تكن ملزمة برعاية شؤون البيت والتفرغ التام للأعباء المنزلية، بل كان نشاطها محصورا في دائرة ضيقة لا يكاد يخرج عن نطاق ممارسة بعض المهام الطفيفة، والمواظبة على حضور طقوس الصلاة اليهودية بالمعبد كل سبت، مع ملازمة البيت في أغلب الأوقات أسوة بزميلاتها المحافظات على التقاليد العبرية المتأصلة. فلم تكن مطالبة بامتهان أي عمل خارج البيت للاسترزاق ومشاطرة زوجها في توفير الضروريات اللازمة (I. D. Abbou, 1953, p412).

وعلى سبيل المثال، فقد كانت المرأة اليهودية في مدن الشمال وبالرباط وسلا وفاس، حيث تسكن أغلب العائلات اليهودية "السفردية"، تلبس أفخر الثياب، خاصة اللباس اليهودي الأوروبي، حيث استطاعت النساء هناك من المحافظة، بشكل كبير، على الخصوصيات الإسبانية، مع وجود بعض التأثيرات العربية المحلية والأمازيغية، وحتى العثمانية (Jean Jouin, 1936, p.167)، وقد أشار "بوسطو" إلى أن يهود مدينة تطوان كانوا يرتدون الزي "الموريسكي"، وهو ما كان يقربهم أكثر من "الموريسكيين" الغرناطيين، ويسهل اندماجهم وتعايشهم مع الذين أعادوا بناء تطوان. ومما يدعم ذلك، ما لاحظه "خوان خورخي" أثناء وجوده بالمدينة عام 1767م من مميزات الطائفة في زيها مقارنة مع باقي يهود المغرب (J.I.Garzón, 2008, p17-18). كما ترك لنا الرسامون، والكتاب الأوروبيون، والمصورون الذين زاروا المغرب العديد من الكتابات والصور حول لباس يهودها، خاصة اللبسة المميزة للمرأة اليهودية "القشتالية" المعروفة ب(الكسوة الكبيرة) أو

"traje berberisco"، والتي هي عبارة عن قفطان أنيق مطرز بنقوش زاهية تعود أصولها إلى إسبانيا في ق.15م (William Lemprière, 1793, p17-18).

وتميزت هذه الكسوة المنتشرة بمدن شمال المغرب وفاس والرباط وسلا، بمميزات محلية خالصة، اختلفت عن باقي مدن المغرب التي دأبت على خياطتها ولبسها، من خلال وجود تراصيع تعرف "بالسفيفيا"، مطرزة بالخيوط الذهبية على جوانبها وعلى منطقة الصدر، وهي طريقة أدخلها اليهود من إسبانيا. وقد ساهم التقليد الذي درج عليه أفراد يهود هذه المدن في الحفاظ عليها، حيث كان الأب يمنحها لابنته يوم زواجها، أو في بعض المناسبات والاحتفالات. كما كان يتعين على الفتيات اليهوديات المقبلات على الزواج التزيي بهذه الكسوة. واشتهرت المدن الشمالية بإتقان خياطتها التي اتسمت بصعوبة تقليدها، بحيث استعصت على جل الخياطين اليهود المنتشرين في باقي المدن المغربية (حاييم الزعفراني، 2000م، ص 449-451).

وتكون لباس المرأة اليهودية الشابة بمدن الشمال من التنورة وغطاء الرأس، أما النسوة المتقدمات في السن فكن يضعن فساتين بأكمام طويلة تسمى "الباطا" مع تنورة "الصايا"، وكن يغطين رؤوسهن بمنديل "پانويلو" عند خروجهن من المنزل. وكان بالإمكان التمييز بين الفتيات العازبات والنساء المتزوجات، من خلال اللباس دون إمعان النظر إلى وجوهن. واعتبر نوع اللباس محددا أساسيا لمعرفة الوضع الاجتماعي والاقتصادي لليهوديات، وهو ما أكده "خوان خورخي" في الوصف الذي قدمه حول لباس المرأة اليهودية بمدينة تطوان، وقد ظهر تأثير عصر النهضة الإسباني في زي اليهوديات الشماليات بشكل واضح منذ استقرارهن بالمدينة، إذ لم يكن يتكون من القفطان الذي كان يلبسه عادة النساء والرجال المغاربة (مسلمين كانوا أو يهودا)، وإنما من سترة وتنورة طويلة عادة ما كان لونها، إما من الأحمر القاني، أو من الأسود المطرز بالذهب، كما تميز هذا اللباس باستعمال حزام صغير وفستان طويل، وبوجود طرز على شكل دوائر، وهذا النوع من اللباس ميز زي إسبانيا خلال ق.16م، وظل مألوفا لدى يهود الشمال وفاس والرباط إلى غاية ق.20م.

أما الشعر فقد اعتبر عورة بالنسبة للمرأة المتزوجة، استنادا إلى ما جاء في تعاليم الدين اليهودي الذي يمنع المرأة من كشف شعرها. وأمام هذا المنع، أفتى الأحبار في ق.16م بإباحة وضع الشعر المستعار (Jean Jouin, 1936, p172)، لذلك فقد ذكرت الكتابات الأجنبية أن المرأة اليهودية غالبا ما كانت تضع شعرا مستعارا يسمى "مخرما" كغطاء لرأسها، وتترك شعرها إلى أن يطول ويصل إلى أسفل ظهرها، ويسمى ب"السالف". وقد تحدث "ألاركون" أثناء احتلال مدينة تطوان من طرف الإسبان عام 1860م عن جمال لباس المرأة العبرية، وشعرها المستعار الذي شبهه بغطاء نساء أوروبا في ق.18م مع وجود تأثير محلي ملحوظ في لبسها للجلباب، وتشير العديد من الكتب إلى مساهمة المرأة اليهودية في حياة البيع وتنظيمها، بل ورئاستها كذلك، كما تشير العديد من شواهد القبور إلى دور المرأة في تدبير الشأن الديني داخل البيعة، ومدها يد المساعدة المادية لطائفتها.

3. الأوضاع التعليمية للمرأة اليهودية المغربية

لم يسمح للمرأة العبرية قبل نهاية القرن 19م بالالتحاق بالمدارس الدينية وتعلم القراءة والكتابة. لذلك، فمن بين المشاكل التي عانت منها المرأة العبرية المغربية عموما، تفشي آفة الجهل والأمية على نطاق واسع، فالبنت اليهودية تبعا لمصادر التشريع الديني ووجهات نظر فقهاء الشريعة غير ملزمة بضرورة المشاركة في القداس، وهو الموضوع الأساسي للتعليم التقليدي، فهي معفاة من تعلم التوراة أو التلمود، وتتم تربيتها إلى غاية الزواج المبكر بين العاشرة والثانية عشر في الوسط العائلي، عن طريق الاتصال مع النساء الأخريات، فهي بذلك لم تكن تعرف لا القراءة ولا الكتابة، إلا في الحالات الاستثنائية النادرة مع العائلات الارستقراطية، ولم تكن لتعرف التحدث لا بالعبرية ولا بالعربية، وتتواصل داخل الملاح باليهودية الاسبانية المعروفة ب"الحكيتيا".

وقد خفت حدة هذا المشكل نسبيا بعد نشوب الحرب المغربية الاسبانية المعروفة بحرب المغرب عام 1860م، والتي شكلت نقطة تحول بارزة في المسار التاريخي ليهود المغرب، إذ أتاحت لهم فرص الاحتكاك بالاسبان فتح نافذة جديدة على العالم الغربي، بعد عهود من الانكماش المديدة وراء أسوار الملاح، والانكفاء على التراث التقليدي الديني بالتمثل والاجترار.

وكان من أهم النتائج الملموسة التي جسدت مرحلة ما بعد الحرب، ظهور بوادر التلاقح اليهودي مع الثقافة الأوربية، خصوصا الفرنسية منها، والتي اقتصر تأثيرها على أوساط الطبقات الراقية من المجتمع اليهودي المغربي. وقد تعزز هذا الانفتاح، من خلال ربط الطوائف اليهودية المغربية لجسور التواصل الثقافي والسياسي مع المنظمات اليهودية العالمية التي دشنت أول حضور فعلي لها في المغرب عبر مدينة تطوان عام 1862م (Mark Avrum Ehrlich, 2009, p485)، بتقديم ممثليها الدعم الكامل لليهود المغاربة لإنشاء مدرسة الاتحاد الإسرائيلي العالمي التي اعتبرت أول مدرسة من نوعها تؤسس في العالم، ثم تلتها بعد اثنتي عشر سنة من ذلك - وبالضبط في سنة 1874م- عملية تشييد مبنى آخر خاص بتعليم البنات (I.D. Abbou, 1953, p.413)، مما فتح الباب على مصراعيه في وجه المرأة اليهودية المغربية لتنفض عنها غبار الجهل والتخلف، وتبدأ في بناء تاريخها ووعي ذاتها ومجتمعها، وإعادة تنظيم علاقاتها مع العالم الخارجي، كما أدى احتكاك اليهود بالإسبان إلى زواج العديد من اليهوديات بالجنود الاسبان، والانتقال معهم إلى اسبانيا بعد جلائهم عن المغرب (J.B. Vilar, 1985, p134)، ليبدأ عصر جديد بالنسبة للمرأة اليهودية المتفتحة والمثقفة، وضع سيمكنها من السفر بكل حرية، سواء في إطار عملها التجاري أو كأستاذة، بعد أن استطاعت مدارس الاتحاد تخريج العديد من الفتيات المثقفات اللواتي تم تعيينهن بالعديد من دول العالم ضمن شبكة الاتحاد، وفيما يلي جدول بأسماء بعض المدرسات اللائي ساهمن في نشر العلم بين أفراد اليهود بالمغرب وخارجه.

اسم المدرسة	معلومات	الراتب بالفرنك
أبي قاسيس أوروفيدا	ولدت في 28 غشت 1892م. اشتغلت مدرسة ومساعدة مديرة. توفيت عام 1911م.	1300
أفيتشاي عيدا	ولدت في 1894/03/15م. عينت مساعدة مديرة بتطوان ابتداء من نونبر 1913م، وبأدرنة التركية عام 1914م.	1500
إيلي بن بساط	ولدت في 1892/01/15م. اشتغلت بطنجة عام 1911م وبتطوان عام 1912م. توقفت عن العمل عام 1913م.	1500
ألكريا ليفي بن شيمول	ولدت بتطوان في 1885/03/05م، وتوفيت في 1919/09/28م. اشتغلت مدرسة ومديرة، واعتبرت من أهم المساهمات في تأسيس عشر مدارس في كل من دول شمال إفريقيا والإمبراطورية العثمانية.	غ.م
بوندي بولين	ولدت بالقسطنطينية في 1864/04/28م. اشتغلت مديرة بتطوان في أبريل عام 1882م.	1800/1400
إيستر كارمونا	ولدت عام 1879م بمدينة سالونيك اليونانية، وتوفيت في 1957/04/11م. اشتغلت مساعدة مديرة بتطوان، ثم القاهرة في عام 1899م. عادت إلى المدينة لتقوم بنفس المهام عام 1904م.	5400/1400
راشيل كرمونا المعروفة باللاوي عند صغرها	ولدت بسالونيك في 1862/02/14م، أو 1864م (غ م). اشتغلت مديرة بتطوان، ابتداء من أكتوبر عام 1899م. توقفت عن العمل في يوليوز 1911م.	2500/1500
ليا أبي قاسيس	ولدت بتطوان في 1862/05/03م. اشتغلت مساعدة مديرة بتطوان من شتنبر 1881م إلى أكتوبر 1891م.	1800/1200
حاسيبا قرياط	ولدت بتطوان في 1873/08/07م. اشتغلت مساعدة مديرة ابتداء من شتنبر من عام 1892م. توقفت عن العمل في عام 1896م.	/1400 15000
المالح المسعودي	ولدت بتطوان في 1877/10/14م. اشتغلت مساعدة مديرة بطنجة ابتداء من عام 1895م، وبتطوان عام 1897م، ثم بيروت ومزاگان وفاس والرباط. توقفت عن العمل عام 1924م.	5900/ 1400
كلير اللاوي	ولدت بتطوان في عام 1870م، وتوفيت عام 1905م. كانت مساعدة مديرة بتطوان عام 1889م، ثم مديرة عام 1891م.	2200/1400
پولين راكُوسني	ولدت بموسكو في 28 مارس 1860م. اشتغلت مساعدة مدير بتطوان ابتداء من ماي 1884م.	غ.م
راشيل لبحر	ولدت بالقدس في فاتح يناير1859م. اشتغلت مديرة بتطوان ابتداء من أكتوبر 1885م.	2400/1500

بيد أن مسار تحرير المرأة العبرية لم يكن بالأمر الهين، فقد وجدت هذه الأخيرة نفسها أمام تحديات كبرى، تمثلت بصفة خاصة في استمرارية هيمنة العقلية الذكورية بين أفراد الطوائف اليهودية المغربية وخارجه، وهو أمر لم يمكنها من الارتقاء بسلاسة داخل

مجتمعها، رغم انتشار المدارس اليهودية، واستشراء النظم الغربية والأفكار الأوروبية في أرجاء المغرب.

ويمكن الاكتفاء، في هذا الصدد، بما أوردته الباحثة "فرنسيس مالينو" عن حجم معاناة المرأة المدرسة، والمشاكل التي كانت تواجهها، جراء قبولها الانخراط في مهمة التعليم الصعبة، فرغم ما كان يتكلف به الاتحاد من أتعاب سخرت للمدرسات كحد أدنى قصد تشجيعن، كالتكلف بالتغطية الصحية ومصاريف العلاج، إلا أن المرأة العبرية عانت من جبروت القوانين الداخلية لهذه المؤسسات التعليمية التي فرضت عليها الالتزام بالعمل لمدة 10 سنوات، وأخذ الإذن في كل صغيرة وكبيرة، حتى فيما يتعلق بالزواج، ومدة شهر العسل، ناهيك عن تعيينها بمدارس بعيدة جدا عن موطنها.

خاتمة:

وكاستنتاج لهذا الموضوع، يمكن القول بأن تناول قضية المرأة اليهودية المغربية، وظروف عيشها، ضمن هذا الموضوع يظل غير كاف تماما للوقوف على حياتها، لكن المعلومات التي قمنا بتقديمها تمدنا ببعض المعلومات الهامة التي تؤرخ لمسارها التاريخي، ذلك أن وضعها قبل نهاية القرن 19م يفيد بتهميشها داخل طائفتها، وبعدم قدرتها على المشاركة في الحياة الاجتماعية والاقتصادية والسياسية، فكان دورها مقتصرا فقط على تدبير شؤون المنزل والإعداد للأعياد الدينية.

بيد أن الأحداث السياسية والاجتماعية التي عرفها المغرب، وتأثيرات أوروبا عليه، وما عرفته الطوائف اليهودية في الشتات، مكنها (أي المرأة اليهودية) من الانخراط تدريجيا في صفوف المنظمات المعنية بشؤون التعليم والخدمات الاجتماعية، ساعية إلى نيل المزيد من الحقوق وتحقيق المساواة مع الرجل، فتمكنت من الحصول على قسط وافر من التعليم، وعلى التحرر من سطوة طائفتها.

قائمة المراجع

1. حاييم الزعفراني (1987)، ألف سنة من حياة اليهود بالمغرب: تاريخ، ثقافة، دين، ط1، الدار البيضاء.
2. حاييم الزعفراني(2000)، يهود المغرب والأندلس، ترجمة أحمد شحلان، ج2، الرباط.
3. رشيدة فؤاد(2013)، الحماية الأسرية والاجتماعية للمرأة اليهودية في نصوص اليهود الدينية المقدسة، كلية الآداب والعلوم الإنسانية بنمسيك، الدار البيضاء.
4. صموئيل أتينجر(1995)، اليهود في البلدان الإسلامية (1850-1950)، ترجمة جمال أحمد الرفاعي، مجلة عالم المعرفة.
5. عبد الوهاب المسيري(1999)، موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية، الطبعة الأولى، ج5، دار الشروق.
6. Cecil Roth (1953), Short story of the Jewish people, the east and west library, London.
7. Cerfberr De Medelsheim (1847), Les juifs: Leur Histoire, leur mœurs, Albert Frére éditeurs.

8. Léon Poliakov (1978), Ni juif ni grec: Entretiens sur le racisme, Ecole des Hautes Etudes en sciences Sociales et Mouton Editeur, publié en Portugal, Europrinte.
9. David Rouach (1990), IMMA ou rites, coutumes et croyances chez la femme juive en Afrique du Nord, Éditions Maisonneuve & Larose, Paris.
10. Iris Parush (2004), Reading Jewish women: marginality and modernization in nineteenth-century Eastern European Jewish Society, Brandeis University Press.
11. Issac David Abbou(1953), Musulmans andalous et judéo-espagnols, Edition Antar, Casablanca.
12. Jacobo Israel Garzón(2008), Los judíos hispano-marroquíes (1492-1973), Hebraica Ediciones, Madrid.
13. Jeanne Jouin (1936), Le costume de la femme israélite au Maroc, {planches xxvi à xxviii.), Journal de la Société des Áfricanistes, T6 fascicule 2.
14. Juan Bautista Vilar (1985), Tetuán en el resurgimiento judío contemporáneo (1850-1870) aproximación a la historia del Judaísmo Norteafricano, Biblioteca popular sefardí, volumen n°2, Ediciones de la asociación israelita de Venezuela y del centro de estudios sefardíes de Caracas.
15. Judit Borrás Targarona, Ángel Sáenz-Badillo (1998), Jewish Studies at the Turn of the Twentieth Century: Judaism from the Renaissance to Modern Times, by European Association for Jewish Studies. Congress, Vol. 2, Leiden, Boston, Koln: Brill.
16. Karla Goldman (2009), Beyond the Synagogue Gallery: Finding a Place for Women in American Judaism, Library of congress cataloguing-in- Publication Data, USA.
17. Mark Avrum Ehrlich (2009), Encyclopedia of the Jewish Diaspora: origins, experiences, and culture, Volume 1, ABC-CLIO, LLC.
18. Moshe Meiselman (1978), Jewish woman in Jewish law, Library of Congress Cataloging in Publication Data, Ktav Publishing House INC.
19. Paul Sebag (1991), Histoire des Juifs de Tunisie: Des origines à nos jours, L'Harmattan.
20. Pedro Antonio de Alarcón (1859), Diario de un testigo de la guerra de África.
21. Renée Levine Melammed (1999), Sephardi in the Medieval and Early Modern Periods in Jewish Women In Historical Perspective, Second Edition, Edited by Judith R. Baskin.
22. Schifra Strisowei (1962), Exotic Jewish communities, T. Yoselobb London.
23. William Lemprière (1973), A tours from Gibraltar to Morocco, J. Walter and sold.